درس حول ليلة القدر

قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ① وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ② لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ③ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ④ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾

سبب نزولها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه ألف شهر-83سنة و4أشهر- في سبيل الله، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وتمنى ذلك لأمته فقال ﴿يا رب جعل أمتي أقصر أعمارا وأقلها أعمالا، فأعطاه الله ليلة القدر﴾ فهي من خصائص هذه الأمة.

قال مجاهد ﴿كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد حتى يمسي، فعل ذلك ألف شهر، فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأنزل الله هذه الآية﴾.وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ﴿أُرِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار الناس، فاستقصر أعمار أمته، وخاف ألا يبلغوا من الأعمال مثل ما بلغه سائر الأمم، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر لسائر الأمم﴾ وأعمار الأمة المحمدية قد أخبرنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يتجاوز ذلك. فجاءت كرامة الله تعالى ولطفه بهذه الأمة المحمدية، فشرع لها قيام ليلة القدر، لتبلغ ربما ما لم يبلغه أحد قبلها. يروى أنه يجاء يوم القيامة بالإسرائيلي الذي عبد الله تعالى 400 سنة، ويجاء برجل من هذه الأمة، وقد عبد الله 40سنة، يكون ثوابه أكثر، فيقول الإسرائيلي أنت العدل، وأرى ثوابه أكثر، فيقول: لأنكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون، وأمة محمد كانوا آمنين، لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾.

الشرح والبيان:

قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في مكان يقال له بيت العزة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ﴿أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾. وقال أيضا ﴿ نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى بيت العزة، وأملاه جبريل على السفرة،

ثم كان جبريل ينزله على النبي ﷺ نجوما نجوما. وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة﴾ وقال الشعبي ﴿المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر﴾ وكان نزوله دفعة واحدة إلى بيت العزة في أول سنة بعث فيها رسول الله ﷺ، ثم في صبيحة تلك الليلة أنزل على رسول الله ﷺ خمس آيات منه، وهي أول سورة العلق، ثم أنزل بعد ذلك مفرقا، ولم ينزل دفعة واحدة، وأحيانا كانت تنزل عليه سورة كاملة.

وحاصل ما ذكره المفسرون هنا أن القرآن الكريم نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ومعنى ذلك أن جبريل أملاه من اللوح المحفوظ على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله في ليلة القدر وبقيت تلك الصحف عندهم في السماء الدنيا فصار جبريل ينزل منها الآية والآيتين على النبي ﷺ حتى استكمل إنزال القرآن في ثلاث وعشرين سنة .قال تعالى﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ قال محمد العاقب:

قـد أنـزل القـرآن دون ثنيـا	**ليلتـه إلى السـماء الـدنيا**
ثـم علـى قلـب الـنبي هجمـا	**بـه الأمـين أنجمـا منجمـا**

والحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قرّبناه إليهم لننزّله عليهم، ولم ينزل إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله. وقال الحكيم الترمذي﴿ أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا؛ تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث سيدنا محمد ﷺ؛ وذلك أن بعثته كانت رحمة، فلما خرجت الرحمة بفتح الباب، جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن، فوُضِع القرآن ببيت الغزة في السماء الدنيا، ووضعت النبوة في قلب محمد، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحي، كأنه أراد تعالى أن يُسَلِّم هذه الرحمة التي كانت حظَّ هذه الأمّة من الله إلى الأمّة﴾ وقال السخاوي في" جمال القرّاء" ﴿في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم﴾ وقال﴿ وفيه أيضا التسوية بين نبينا وبين موسى عليه السلام في إنزاله كتابه جملة، والتفضيل لمحمد في إنزاله عليه منجّما ليحفظه﴾.

فإن قيل: ما السر في نزوله منجما؟ وهلا نزل كسائر الكتب جملة؟ قال أبو شامة﴿ هذا سؤال قد تولّى الله جوابه، فقال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ يعنون: كما أنزل على من قبله من الرسل.

فأجابهم تعالى بقوله﴿ كَذَٰلِكَ ﴾أي: أنزلناه كذلك مفرقا﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾أي: لنقوّي به قلبك؛ فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة، كان أقوى بالقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملَك إليه، وتجدّد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدُثُ له من السرور ما تقصُر عنه العبارة؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان؛ لكثرة لقائه جبريلﷺ.وقيل: معنى﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: لنحفظه؛ فإنه ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ففُرِّق عليه ليَثْبُت عنده حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء؛ فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع.

وليس ترتيب السور في المصحف العثماني موافقا لترتيبها في النزول لأن أول ما نزل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ثم (القلم) ثم (المزمل) ثم (المدثر) على خلاف في ذلك. وأما ترتيب الآيات فهو موافق لنزول الوحي إذ كان جبريل عليه السلام يوقف النبي ﷺ على مواضع الآيات ويقول له ضع آية كذا في موضع كذا .نقله في الإتقان.

قال محمد العاقب :

وليس ترتيب النزول كالأدا   وفي الأدا الترتيب بالوحي اقتدى
فهو كما عليه مستطر   في لوحه المحفوظ نعم المستطر
وذاك في السور في القول الأحق   والقول في الآي عليه متفق

ونظم ترتيب السور حسب النزول الشيخ مُحمّد أحيدْ المسُّومِيّ فقال :

ترتيب ما من القرآن قد نزل   بمكة فخذ له رمز "نجل"
العلق القلم والمزمل   مدثر فاتحة لا تجهل
تبت وكورت والأعلى اليل ثم   والفجر والضحى ألم نشرح تؤم
والعصر ثم العاديات الكوثر   ألهاكم وأرأيت الّذْ قُري
الكافرون الفيل الاخلاص كذا   والنجم مع عبس والقدر خذا
والشمس والبروج والتين قريش   قارعة ثم القيامة تجيش
ويل لكل ثم المرسلات قاف   والبلد الطارق من غير انحراف
اقتربت صاد والاعراف وجن   ياسين والفرقان فاطر تعن
مريم طه الواقعة والشعرا   والنمل والقصص سبحان ترى
يونس هود يوسف والحجر   الأنعام واليقطين لقمان دري

سبأ الزمر وسبعة مواليات لها بذا المصحف ثم الذاريات
الغاشيه كهف ونحل ثم نوح ثمت إبراهيم الانبيا تلوح
قد أفلح السجدة طور الملك وحاقة سال وعم تدرك
النازعات انفطرت وانشقت الروم ثم العنكبوت تمت
نزل لمّا جاء سيد الرعيل طيبة ويل للمطففين قيل
والبكر والانفال وآل عمران الاحزاب والممتحنة والنسوان
وزلزلت ثم الحديد والقتال والرعد والرحمن هل أتى يقال
ثم الطلاق لم يكن والحشر والفلق الناس كذا والنصر
النور والحج المنافقون وال مجادلة والحجرات ذا نقل
تحريم والصف مع الجمعة تغابن فتح عقود توبة
ثم من الإتقان والدر الفريد بنظم عبد ربه محمد أحيد
غفر ربه له ووالديه وكل من قد ولدوا ومن يليه
من العشيرة وذي الحوبة والمؤمنين وجميع الأمة
ثم الصلاة والسلام بالتوال على محمد وصحبه والآل

قوله تعالى﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ أي في ليلة ذات قدر، وسماها في سورة الدخان ليلة مباركة قال تعالى﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ وهما اسمان لليلة واحدة، وهي ليلة إنزال القرآن، وهي في رمضان لقوله تعالى﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾وفي تسميتها بليلة القدر وجوه :

* **لأن فيها تقدر أطوار الخلق الثلاث**: الأجل، الرزق، الشقاء أو السعادة. في تلك السنة إلى السنة المقبلة. يقال كيف يتجدد هذا التقدير كل سنة وقدر الله أزلي، فيقدر الأطوار الثلاث في ليلة النصف من شعبان التي تسمى ليلة البراءة، ثم تسلم في ليلة القدر إلى الملائكة، أي رؤسائهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام . فيسلم دفتر الرحمة والعذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودفتر النبات والأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام، ودفتر الأمطار والرياح إلى إسرافيل عليه السلام، ودفتر الأرواح وانقضائها إلى عزرائيل عليه السلام . قيل للحسين بن الفضل بن عمير البجلي: أليس قد قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال﴿ نعم ﴾. قيل: فما معنى ليلة القدر؟ فقال ﴿سوق المقادير إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدّر﴾ وقال الرازي﴿ اعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة؛ فإنه تعالى قدّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض، بل المراد إظهار المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها

في اللوح المحفوظ، وهذا القول اختيار عامة العلماء﴾ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ﴿أن الرجل يُرى يفرش الفرش ويزرع الزرع وأنه لفي الأموات﴾ أي أنه كتب في ليلة القدر أنه من الأموات. وقيل: أن المعنى أن المقادير تبين في هذه الليلة للملائكة. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضا ﴿ أن الله تعالى يقضي الأقضية في ليلة نصف شعبان، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر﴾.

* وقيل لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ وقوله ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴾ أي ضيق. قال الخليل بن أحمد ﴿ إنما سميت ليلة القدر، لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة﴾ .ويشهد لما قاله الخليل الحديث الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ليلة القدر ليلة السابعة أو التاسعة وعشرين، وأن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى ﴾ وقيل: الضيق في إخفائها عن العلم بتعيينها.

* وقيل: سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها، من قولهم: لفلان قدر، أي :شرف. قال الزهري﴿هي ليلة العظمة والشرف، من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي: جاه ومنزلة، ويقال: قدّرت فلانا، أي: عظّمته، قال الله تعالى﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾أي: ما عظّموا الله حق تعظيمه.

* وقيل: سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا.

*وقيل: سميت بذلك: لأن من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها.

* وقيل: سميت بذلك لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر على أمة ذات قدر.

* وقيل سميت بذلك: لأنه ينزل فيها ملائكة ذوي قدر.

*وقيل: سميت بذلك: لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

* وقيل: سميت بذلك لأن الله تعالى قدر فيها الرحمة على المؤمنين.

قوله تعالى﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾أي ما أعظم يا محمد هذه الليلة وما أشرفها؟.قال سفيان بن عينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ﴿ إن كل ما في القرآن من قوله "**وما أدراك**" أعلم الله به نبيه، وما فيه "**وما يدريك**" لم يعلمه به﴾.

قوله تعالى﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾أي هذه الليلة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ أفضل من ألف شهر. فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال﴿فقال: يا محمد؛ ليلة القدر خير من ألف شهر، وأعطيتك وأمتك هذه الليلة في كل سنة خير لك ولهم من بعدك إلى يوم القيامة، في كل شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر﴾ وخيرية ليلة القدر راجعة إلى تفضيل الطاعة فيها والعمل الصالح على غيرها من الليالي والأيام، وهذا يفيد أن المسلم الذي يطلب ليلة القدر إنما يطلبها ليعمل فيها صالحا ويجد في العبادة. فالمؤمن إنما يطلبها للدين لا للدنيا، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال﴿العمل في ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة أفضل من ألف شهر﴾.

وقد اختلف في تعيينها على ثلاثة أقوال: أشهرها ما اقتصر عليه الشيخ خليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله﴿وفي كونها بالعام أو برمضان خلاف وانتقلت﴾ ومعنى كونها بالعام أنها دائرة في جميع لياليه، فتكون في عام ليلة21 رجب مثلا، وفي عام آخر ليلة 21 من رمضان، وعلى هذا القول الثاني لا تكون إلا في رمضان فقط وتنتقل، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أن رسول الله ﷺ قال﴿ تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان﴾ وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال﴿ التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى﴾ أي ليلة 21، 23، 25، 27، 29. وبوب عليها الإمام البخاري في صحيحه بقوله﴿ باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر﴾ قال الحافظ ابن حجر﴿ في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان، ثم في العشر الأخير منه، ثم في أوتاره﴾. وهل هي ليلة ثابتة من ليالي العشر أم متنقلة؟ قولان؛ والذي عليه جمهور العلماء والمنقول عن أكثر الصحابة والتابعين أنها: ليلة معينة ثابتة لا تتغير، واختلفوا في تحديدها على أقوال عديدة، أقواها: أنها ليلة ثلاث وعشرين (23) أو سبع وعشرين (27) . وذهب جماعة من الأئمة إلى أنها تنتقل؛ فتكون سنة في ليلة، وسنة في ليلة أخرى، قال ابن رجب الحنبلي﴿ وذهب أبو قِلابة إلى أنها تنتقل في ليالي العشر، وروي عنه أنها تنتقل في أوتاره خاصة، وممن قال بانتقالها في ليال العشر: المزني وابن خزيمة﴾.وحكاه ابن عبد البر عن مالك والثوري والشافعي وأحمد وأبي ثور، وفي صحة ذلك عنهم بعد، وإنما قول هؤلاء أنها في العشر وتطلب في لياليه

كله﴾.ونقل الشيخ عبد القادر الجيلاني عن مالك رحمه الله﴿جميع ليالي العشر الأواخر، ليس بعض بآكد من بعض﴾ ونقل الرُّياني﴿هي في العشر الأواخر وليس فيها تعيين﴾ ونقله الذهبي عنه﴿العشر كله سواء﴾ وذهب ابن حبيب إلى﴿أن تتحرى الليلة في جميع ليالي العشر على نقصان الشهر وكماله﴾ وهي أرجى في الأوتار من الأشفاع. قال ماء العينين بن محمد فاضل الشنقيطي:

ومـرة قـال بـوتر ويقـول ... في الشـفع مـرة وهكـذا النقـول
وكـل ذا صـح ولا تناقضـا ... فيـه ومـا بـه الخـلاف رفضـا
فإنــه بحســب الأعــوام ... كــان اخـتلاف ذاك في الكــلام
ولم يكـن عنهـا بعـام واحـد ... أخـبر بـاختلاف قـول زائـد
وأخلـص الأقـوال فيهـا أنهـا ... تـدور في الأيـام كـلا وانتهـى
ولا لهـا حقيقـة قـد يعلـم ... إلا مـن الله لـه مـتمّم

والمعتمد أنها ليلة 27 من رمضان ، وعليه جرى عمل الناس في مشارق الأرض ومغاربها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يستنبط ذلك من عدد كلمات سورة القدر إلى قوله﴿**هي**﴾، ومن عدد حروف ﴿**ليلة القدر**﴾، وقد ذكرت 03 مرات في السورة، وفي كل كلمة منها 09 أحرف، فهي 27 حرفا من ضرب 09 X 03. وقال أبو بكر الوراق رحمه الله ﴿ إن الله سبحانه قسّم كلمات هذه السورة على ليالي شهر رمضان، فلما بلغ السابعة والعشرين، أشار إليها فقال: " **هي**" ﴾ وقال القرطبي رحمه الله﴿ ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات، وهي تسعة أحرف، فتجيء سبعا وعشرين﴾ ويؤيده حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم وقد قيل له: إن عبد الله بن مسعود يقول ﴿من قام السنة أصاب ليلة القدر﴾ فقال ﴿يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لقد علم أنها في العشر الأواخر من رمضان، لكنه أراد ألا يتكل الناس، والذي لا إله إلا هو، إنها لفي رمضان، والله إني أعلم أي ليلة هي: هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، وهي ليلة صبيحة السابع والعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها﴾ وعن محمد بن كعب رضي الله عنه قال: بينما عمر رضي الله عنه جالس في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين، إذ ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما. فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها، وعبد الله ساكت فقال له عمر ﴿ما لك لا تتكلم يا ابن عباس؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة﴾ فقال ﴿إن الله تعالى وتر يحب الوتر، وأنه جعل الأيام تدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وجعل فوقنا سبع سماوات، وجعل تحتنا سبع أراضين،

وجعل البحار سبعا، وجعل ما يقع في السجود من أعضائنا سبعا، وحرم من نكاح الأقربين سبعا، وقسم المواريث بينهم على سبع، وأعطى نبيه ﷺ المثاني سبعا، ورمي الجمار سبعا، فأظنها والله أعلم في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان﴾ فتعجب عمر رضي الله عنه وقال﴿يا قوم من كان يروي هذا كرواية ابن عباس﴾.

وقد أخفاها الله سبحانه وتعالى لتحيى جميعها، كما أخفى ساعة الجمعة ليدعى في جميعها، والصلاة الوسطى ليحافظ على الكل، والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع، ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات ، وغضبه في معصيته لينزجر عن الكل، والولي في المؤمنين ليحسن الظن بجميع المؤمنين، ومجيء الساعة للخوف منها، وأجل الإنسان عنه ليكون دائما على أهبة للموت. قال الشيخ عبد القادر الجيلاني﴿ إن قال قائل: لم لم يُطلع عباده على ليلة القدر يقينا وقطعا؟ قيل له: يتكل العباد على عملهم فيها، فيقولون: قد عملنا في ليلة خير من ألف شهر، فقد غفر الله لنا، وحصل لنا عنده درجات وجنات، فلا يعملوا عملا ويطمئنّوا، فيَغلِب عليهم الرجاء فيَهلكوا، وهذا كما لم يطلعهم على فناء آجالهم؛ لئلا يقول من كان في عمره طول: أتّبع الشهوات واللذات والتنعم في الدنيا، فإذا قاربت فناء أجلي تبت واشتغلت بعبادة ربي وأموت تائبا مصلحا، فيُغيِّب الله تعالى عنهم آجالهم؛ ليكونوا أبدا على وجل وحذر من الموت، فيحسنوا العمل ويداوموا على التوبة وإصلاح العمل، فيأتيهم الموت وهم على خير حال، فتصل إليهم الأقسام من اللذات والشهوات في الدنيا، وينجون من عذاب الله في الآخرة برحمة الله تعالى﴾ وجاء في تفسير مفاتيح الغيب: أخفاها لوجوه: **أحدها**: أنه تعالى أخفاها، كما أخفى سائر الأشياء. وذكر كلاما قريبا من السابق.**ثانيها**: كأنه تعالى يقول: لو عيّنت ليلة القدر– وأنا عالم بتجاسرك على المعصية– فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية، فوقعت في الذنب، فكانت معصيتك مع علمك أشدّ من معصيتك مع عدم علمك؛ فلهذا السبب أخفيتها عليك.**ثالثها**: أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد. **رابعها** : أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر؛ فإنه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر، فيباهي الله تعالى بهم ملائكته، ويقول: كنتم تقولون فيهم: يفسدون ويسفكون الدماء، فهذا جِدُّه واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له؟ فحينئذ يظهر سر قوله ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ .

ولهذه الليلة المباركة علامات تعرف بها، منها :

* أنها ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة. قال ﷺ ﴿ليلة القدر ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة﴾ وقال عليه الصلاة والسلام ﴿إني كنت أُريت ليلة القدر ثم نسيتها، وهي في العشر الأواخر، وهي طلقة بلجة لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرا يفضح كواكبها، لا يخرج شيطانها حتى يخرج فجرها﴾.

* تشرق الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء لا شعاع لها. قال ﷺ﴿وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها﴾ يعني تطلع في اليوم الذي يليها. وتلك العلامة بشارة لمن قام تلك الليلة لأنها تكون بعد انقضاء ليلة القدر لا قبلها.

* قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير. قال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله سرّه في الغنية﴿قيل: لا يسمع فيها نباح الكلاب﴾.

* عذوبة الماء المالح. فعن عبدة بن أبي لبابة، قال﴿ ذقت ماء البحر ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان فإذا هو عذب﴾. وقال الحافظ ابن رجب﴿ وروى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناد جيد عن الحسن، قال: إن غلاما لعثمان بن أبي العاص قال له: يا سيدي، إن البحر يعذب في الشهر في ليلة، قال: فإذا كانت تلك الليلة فأعلمني، قال: فلما كانت تلك الليلة آذنه، فنظروا، فوجدوه عذبا﴾.

* رؤية كل مخلوق ساجدا لله. قال القسطلاني﴿ وقد جاء أن لليلة القدر علامات تظهر، فقيل: يرى كل شيء ساجدا، وقيل: ترى الأنوار في كل مكان ساطعة حتى في المواضع المظلمة، وقيل: يسمع سلاما من الملائكة﴾.

قال الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل الشنقيطي :

فهي ليلة تكون بلجه	لا حرّ لا برد بذاك بهجه
ولا سحاب لا مطر ولا رياح	بها ولا نجم رمي إلى الصباح
وتطلع الشمس بيوم صبحها	حمراء لا شعاع في نصيحها
وفي رواية رأيتني بحين	صبيحها أسجد في ماء وطين

والحق أنه يخبر الصحاب ... بوصفها في كل عام لا ارتياب
فمرة يقول لا فيها مطر ... ومرة بمطر فيها خبر

قال في مرقاة المفاتيح﴿ وفائدة العلامة: أن يشكر على حصول تلك النهمة إن قام بخدمة الليلة، وإلا فيتأسّف على ما فاته من الكرامة، ويتدارك في السنة الآتية، وإنما لم يجعل علامة في أول ليلها إبقاء على إبهامها، والله سبحانه أعلم﴾.

ومن أفضل الأعمال في هذه الليلة:

* **القيام**: ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال﴿من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه﴾.وأي كرم أعظم من هذا ؟ تغفر صغائر العمر كله في ليلة. وكما قال ابن عمر عن ساعة الجمعة﴿ إن طلب حاجة في يوم لأمر يسير﴾ وكذا نقول هنا: إن قيام ليلة لتمحو ما مضى من الذنوب لشيء يسير . والمحروم من حرم خير هذه الليلة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها؛ فقد حرم﴾. ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيرها؛ ليدرك هذه الليلة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت﴿ كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله﴾ و ﴿كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها﴾. وتبع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك صحبه الكرام، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان نصف الليل، أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلوا هذه الآية﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾هذا في الأيام العادية، فما بالك بالعشر؟ واقتفى تابعوا هذه الأمة صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم و رضي الله عنهم؛ فكان إبراهيم النخعي يختم القرآن في شهر رمضان في كل ثلاث، فإذا دخلت العشر ختم في ليلتين، واغتسل كل ليلة. واقتفى أثر التابعين أئمة الإسلام، قال سفيان الثوري﴿أحب إليّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا﴾ وكان ابن عون: إذا جاء رمضان جاء برمل فألقاه في المسجد ثم يقول لبنيه﴿ما تبتغون بعد شهر رمضان؟﴾ وكان لا ينام. وكونه كان لا ينام يحمل على شدة المبالغة في العبادة لا أنه على

ظاهره؛ فهذا لا يعقل. وكانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل﴿قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدّامنا، ونحن قد بقينا﴾.

يا نائم الليل كم ترقد	قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته	وردا إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله	لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى	قنطرة العرض لكم موعد

وكان قتادة: يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا دخل رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا دخل العشر ختم كل ليلة مرة.

* **الدعاء**: فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت :يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فبما أدعو؟ قال: قولي ﴿ اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني﴾ وليلة القدر من أوقات الاستجابة فينبغي للمؤمن إن يكثر فيها من الدعاء، ولهذا سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن صيغة تدعو بها تلك الليلة. وقد بين رسول الله ﷺ لزوجته الكريمة صيغة الدعاء، فينبغي أن يكرر المسلم هذا الدعاء ليلة القدر وأن يفضله عما سواه، لأنه لفظ أفضل الخلق الذي علمه لأحب زوجاته. ثم هذا يؤكد أن ليلة القدر تراد للدين لا للدنيا.وكان أبو عثمان سعيد بن إسماعيل كثيرا يقول في مجلسه وفي غير المجلس﴿ عفوك يا عفوّ عفوك، وفي المحيا عفوك، وفي الممات عفوك، وفي القبور عفوك، وعند النشور عفوك، وعند تطاير الصحف عفوك، وفي القيامة عفوك، وفي مناقشة الحساب عفوك، وعند ممر الصراط عفوك، وعند الميزان عفوك، وفي جميع الأحوال عفوك يا عفوّ عفوك﴾ فرئي في المنام بعد وفاته بأيام، فقيل له﴿ماذا انتفعت بأعمالك في الدنيا؟﴾ فقال﴿بقولي: عفوك عفوك﴾. وإنما أمر النبي ﷺ بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر؛ لأن أهل الصلاح يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا ولا حالا ولا مقالا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر. قال يحيى بن معاذ﴿لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه، لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه﴾ يشير إلى أنه ابتلى كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو، فإنه يحب العفو. وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمرّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال

وأكملها في ليالي العشر وغيرها. فلو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾لبرز لهم التوقيع عليها﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

أشكو إلى الله كما قد شكى ... أولاد يعقوب إلى يوسف

قد مسني الضرّ وأنت الذي ... تعلم حالي وترى موقفي

بضاعتي المزجاة محتاجة ... إلى سماح من كريم وفي

فقد أتى المسكين مستمطرا ... جودك فارحم ذله واعطف

فأوف كيلي وتصدّق على ... هذا المقلّ البائس الأضعف

وكان بعض المتقدمين يقول في دعائه﴿اللهم إن ذنوبي قد عظمت فجلّت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك، فاعف عني﴾ وقال آخر﴿جرمي عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم﴾

يا كبير الذنب عفو ... الله من ذنبك أكبر

أكبر الأوزار في ... جنب عفو الله يصغر

قال يحيى بن معاذ﴿ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو﴾.

يا رب عبدك قد أتا ... ك وقد أساء وقد هفا

يكفيه منك حياؤه ... من سوء ما قد أسلفا

حمل الذنوب على الذنو ... ب الموبقات وأسرفا

وقد استجار بذيل عفو ... ك من عقابك مِلْحَفا

رب اعف عنه وعافه ... فلأنت أولى من عفا

ويستحب لمن رأى ليلة القدر أن يكتمها، قال الماوردي﴿ يستحب لمن رأى ليلة القدر أن يكتمها، ويدعو بإخلاص ونية وصحة ويقين بما أوجب من دين ودنيا، ويكون أكثر دعائه لدينه، وآخرته؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، إن رأيت ليلة القدر بماذا أدعو؟ فقال﴿ تسألي الله العافية في الدنيا والآخرة﴾ وقال النووي﴿ اعلم أن ليلة القدر يراها من شاء الله تعالى من بني آدم كل سنة في رمضان، كما تظاهرت عليه الأحاديث وأخبار الصالحين بها، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، وأما قول المُهلّب بن أبي صُفرة الفقيه المالكي:" لا تمكن رؤيتها حقيقة" فغلط فاحش نبّهت عليه لئلا يُغترّ به﴾.وقال ابن تيمية﴿ قد يكشف الله لبعض الناس في

المنام أو اليقظة، فيرى أنوارا ليلة القدر، أو يرى من يقول له: " هذه ليلة القدر"، وقد يُفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبيّن به الأمر، والله تعالى أعلم﴾. واستنبط السبكي الكبير في الحلبيات من هذه القصة- نسيان النبي ﷺ ليلة القدر بعد أن رآها في منامه- استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها، قال﴿ووجه الدلالة أن الله قدّر لنبيه أنه لم يخبر بها، والخير كله فيما قُدّر له، فيستحب اتباعه في ذلك، والحكمة فيه أنها كرامة، والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلاف بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن السلب، ومن جهة أن لا يأمن الرياء، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس، ومن جهة أنه لا يامن الحسد فيوقع غيره في المحذور، ويُستأنس له بقول يعقوب عليه السلام ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ .

قوله تعالى﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ تتنزل في هذه الليلة الملائكة، والروح هو سيدنا جبريل عليه السلام لقوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ ينزل في كبكبة من الملائكة، وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال حسنة، مسكنها السماوات غالبا، ومنهم من يسكن الأرض، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، فمن وصفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضته النص القرآني ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴾ومن وصفهم بخناثى فهو أولى بالتكفير لمزيد من التنقيص. قال العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي في الواضح المبين في أشرف العلوم أصل الدين:

ما أمروا به فيفعلونه	وما نهوا عنه فيتركونه
واختارهم ذو المجد والسناء	على العباد حاشى الأنبياء
لا يمرضون بل يسبحونه	على الدوام ويقدسونه
ليسوا بذكران ولا إناث	ولا تظن أنهم خناث
ولا ذوي أكل ولا شراب	بل صفوة المصور الوهاب

وروي أنه إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام، ومعه أربعة ألوية ، فينصب لواء على قبر النبي ﷺ، ولواء على ظهر بيت المقدس، ولواء على ظهر المسجد الحرام، ولواء على ظهر

طور سيناء، ولا يدع بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله وسلم عليه ويقول ﴿يا مؤمن أو يا مؤمنة؛ السلام يقرئكم السلام﴾ إلا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير.

وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب، كآية الكرسي، فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن. وكأواخر البقرة لما ورد ﴿من قام بهما في ليلته كفتاه﴾ وكسورة الزلزلة لما ورد ﴿أنها تعدل نصف القرآن ﴾ وكسورة الكافرون لما ورد ﴿ أنها تعدل ربع القرآن﴾ وكسورة الإخلاص لما ورد ﴿ أنها تعدل ثلث القرآن ﴾ وسورة يس لما ورد ﴿أنها قلب القرآن﴾ ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل، وأنواع الذكر، و الصلاة على النبي ﷺ، ويدعو بما أحب لنفسه وأحبابه أحياء وأمواتا، ويتصدق بما تيسر له، ويحفظ جوارحه عن المعاصي، ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة لما ورد ﴿من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر﴾ وورد ﴿من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر﴾ وقد ورد﴿أنه من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر﴾.

فاستدركوا رحمكم الله مواسم العمر فحادي الموت قد حدا .واغتنموا ليلة القدر فإنها ليلة تفوق ليالي الدهر.

لليلـــة القـــدر عنـــد الله تفضـــيل — وفي فضـــلها قـــد جـــاء تنزيـــل
فجـد فيهـا علـى خيـر تنـال بــه أجـرا — فللخـــير عنـــد الله تفضـــيل
واحـرص علـى فعـل أعمـال تسـر بهـا — يـــوم المعـــاد ولا يغـــررك تأميـــل
فتــب إلى الله واحــذر مــن عقوبتــه — فكــل شـــيء ســـوى التقـــوى أباطيـــل

إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون، فارحمنا برحمتك وجد علينا بعفوك ومنتك، واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

سعيدة في يوم:الاثنين 11 جوان 2018 م الموافق لـ :25 رمضان 1439هـ

كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه: العربي منادي